التقارب المجالي والتباعد الاجتماعي: ساكنة المجموعات السكنية الكبرى

2: المؤانسة[1]، وتعايش الطبقات

" جون كلود شومبوردون" و " مادلين لومير"

ترجمة: د. حمزة بنونة: طالب باحث بسلك الدكتوراه: مختبر المجتمع المغربي: الديناميات والقيم " كلية الأداب والعلوم الإنسانية – جامعة شعيب الدكالي – الجديدة.

ملخص : قام الباحثان(***Jean-Claude CHAMABOREDON*** و **Madeleine *LEMAIRE*)**، سنة 1970 بإنجاز بحث ميداني في السوسيولوجيا الحضرية حول: " التقارب المجالي والتباعد الاجتماعي: ساكنة المجموعات السكينة الكبرى"، وتستهدف ترجمتنا الجزء الثاني من مقالهما المنشور والمعنون ب:

" sociabilité et coexistence de classes"، فالدراسة التي قدمها الباحثان نتاج أصيل لعمل ميداني استمر لثلاث سنوات حول المجموعات السكنية الكبرى بمدينة "**Creil**"، وسنتين بعدها أيضا بمدينة "**Antony**"، حيث اتجها في بحثهما الى محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

-هل يمكن اعتبار المجموعات السكنية الكبرى تتمتع بخصائص تجعلها تصلح للسكن المشترك؟

-ألا يمكن اعتبار التمثلات السلبية السائدة حول المجموعات السكنية الكبرى راجعة الى التجاور بين ساكنة متباينة من حيث الخصائص، والمكانة الاجتماعية، ومتعارضة من حيث قيمها ونمط حياتها؟

الكلمات المفتاحية :التقارب المجالي، التباعد الاجتماعي، المجموعات السكنية الكبرى، المؤانسة، التعايش، علاقات الجوار.

Spatial* proximity and *social distance

[1] يتم اعتماد ترجمتين لمفهوم "la sociabilité" حيث يرد في بعض المعاجم العربية بمعنى " المخالطة" (معجم مصطلحات علم الاجتماع، **جيل فيريول**، ترجمة أنسام محمد الأسعد"، دار البحار، 2020، ص 156، كما تتم ترجمته عند مجموعة من الباحثين السوسيولوجيين في المغرب ب " المؤانسة (رشيق عبدالرحمان، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية بالمغرب، مجلة عمران، مجلد 5، عدد 18، 2018، وقد ارتئينا ان نتعمد على نفس

2: Sociability and coexistence of classes

« ***Jean-Claude CHAMABOREDON*** **and** ***Madeleine LEMAIRE*** »

Traduit par : ***Hamza BANNOUNA***, doctorant à la faculté des lettres et des sciences humaines, université Chouaib Doukkali, El-Jadida – Maroc.

Abstract:* The researchers ***Jean-Claude CHAMABOREDON*** and ***Madeleine LEMAIRE*** conducted a field research in urban sociology in 1970 on the issue of: *"**Sphere Convergence & Social Divergence: The Residents of Large Housing Groups**"*.

Our translation targets the second part of their published article entitled "sociabilité et coexistence de classes" (**Sociability & Class Coexistence**). This study is indeed an original product of field work that lasted for three years and that studied the major residential groups in the city of **Creil**, and, two years later, the city of **Antony**. In both studies, the researchers attempted to answer the following questions:

-Can we consider large residential groups as having the characteristics that make them suitable for shared housing?

-Isn't it possible that the prevailing negative representations about the major residential groups are the result of neighbouring among residents that are not only dissimilar in terms of characteristics and social status, but also conflicting in terms of their values and lifestyles?

Keywords: *Spatial* proximity, social distance, Sociability, coexistence-social class, large residential groups, neighborhood relations.

01 - مقدمة:

ينتمي نص المقال المترجم الى حقل السوسيولوجيا الحضرية، التي بدأت تهتم في فرنسا بتيمة " السكن في الوسط الحضري، وبشكل خاص ساكنة المجموعات السكنية الكبرى"، وفي خضم هذا الاهتمام بالمسألة الحضرية من الناحية السوسيولوجية ستتجه بعض الأبحاث الى التطرق لإشكالية " التعايش المجالي للمجموعات المتباينة إجتماعيا"، وهي الدراسة التي قام بها السوسيولوجيين "

ترجمة الباحث المغربي " **عبدالرحمان رشيق** للمفهوم واستعمال " المؤانسة" لكونها أقوى دلالة من الناحية الاجتماعية، فلا يكتفي الإنسان بالتخالط، بقدر ما يبحث عن الاختلاط بقدر ما يحاول تحقيق التعايش الإنساني.

*: ساعد في نقل ملخص المقال من العربية الى اللغة الإنجليزية ، **المفضل عزوز**، أستاذ اللغة الإنجليزية بالأقسام التحضيرية، مديرية المحمدية – المغرب.

جون كلود شومبوردون" و"**مادلين لومير**" في الفترة الممتدة بين 1966 و 1969، اللذان ينتميان الى المركز السوسيولوجي الأوروبي، الذي اسسه " ريمون ارون سنة **Raymond *ARON***1960، وقام بإدارته " بيير بورديو "

1." ***جون كلود شومبوردون"،*** (سوسيولوجي فرنسي ولد سنة 1938، وتوفي سنة 2020، وقد اشتغل قيد حياته رقة كل من " **بيير بورديو 1930-2002 Pierre BOURDIEU** " و"**جون كلود باسرون 1930 *Jean- CLAUDE PASSRON***" منتجا معهما كتاب " حرفة عالم الاجتماع 1967" مثلما اشرف على أطروحة " **بيير بول زاليو Pierre-Paul ZALIO**"، مثلما ساهم في كتب جماعية أخرى : " مقال حول الاستعمالات الاجتماعية للتصوير" رفقة " بيير بورديو" و "***لوك بولتانسكي روبرت*** "، إضافة الى المشاركة في كتابة " **الحس المشترك** 1965" ،ومع " ***جون ايبانيز***": (التنمية الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية: الطبقة الاجتماعية والتغيرات الاجتماعية 1974)،و رفقة " **مادلين لومير**":(التقارب المجالي والتباعد الاجتماعي : المجموعات السكنية الكبرى وساكنتها 1970)...

2." مادلين **لومير**"، تشتغل بالمركز الأوروبي للسوسيولوجيا، وهي المنسقة التقنية ل E.P.H.E، اشتغلت رفقة " **جون كلود شومبوردون** " وأصدرا معا المقال المنشور في المجلة الفرنسية لعلم الإجتماع بعنون: "**التقارب الاجتماعي والتباعد الاجتماعي: ساكنة المجموعات السكنية الكبرى**""

يتضمن المقال الذي أصره الباحثان سنة 1970 ضمن المجلة الفرنسة لعلم الاجتماع بعنوان: " التقارب المجالي، والتباعد الاجتماعي، ساكنة المجموعات السكينة الكبرى[2]" ثلاثة اجزاء أساسية وهي:

1. Une population préconstruite
2. Sociabilité et coexistence de classes
3. La différenciation des groupes et les terrains de conflit

ويستهدف نصنا المترجم بالتحديد المحور الثاني من المقال المنشور والذي يمكن أيضا استصداره عبارة عن نسخة رقمية من الموقع الإلكتروني: (https://www.persee.fr/doc)، وهو الموقع الذي تم إنشاؤه من طرف وزارة التربية الوطنية والحث العلمي والتعلم العالي الفرنسة منذ سنة 2005. إن الدراسة التي قدمها الباحثان نتاج أصيل لعمل ميداني استمر لثلاث سنوات حول المجموعات السكنية الكبرى بمدينة Creil، وسنتين بعدها أيضا بمدينة **Antony**، وقد اتجها في بحثهما الى محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

-هل يمكن اعتبار المجموعات السكنية الكبرى تتمتع بخصائص تجعلها تصلح للسكن المشترك، بالنسبة لفئات في العادة لا تتجاور إلا من خلال اعتبارها أرقاما تتشكل منها الكثافة السكانية لقاطني المجموعات السكنية الكبرى؟

-هل التصورات السلبية جدا حول المجموعات السكنية الكبرى يمكن تفسيرها بالتجاور بين ساكنة خصائصها جد متباينة، ومتعارضة من حيث قيمها ونمط حياتها؟

المنهج المعتمد في الدراسة وادواته:

تعتمد الدراسة التي قدمها كل من " **جون كلود شومبوردون" و " مادلين لومير"** على الجمع بين المنهج الكمي والكيفي، مما مكن الباحثان من المقارنة بين ساكنة المجموعات السكنية الكبرى وساكنة باقي الوحدات في احياء ضمن نفس المدينة، مما مكنهما من بتحليل التغيرات الاجتماعية الناتجة عن التعايش والمؤانسة بين ساكنة لمجموعات السكنية الكبرى في المدينة.

02 - أهداف ترجمة المقال:

تسعى هذه الترجمة الى تقريب القارء العربي من الدراسات المعاصرة التي تم إنجازها حول علاقات الجوار بالمجال الحضري التي تؤثث مشهده اليوم المجموعات السكنية الكبرى باعتبارها تمثل تحولا عمرانيا، واجتماعيا من السكن الأفقي الى السكن العمودي، ساهم في تغير هندسة العلاقات الاجتماعية من علاقات أفقية الى علاقات عمودية. ثم إن دراسة طبيعة الروابط الإنسانية القائمة بهذه التجمعات السكانية لا يمكن ان تتأتى دون الاطلاع على الإنتاجات النظرية والميدانية التي قدمها علماء الاجتماع خاصة منهم المهتمون بالمسألة الحضرية، وبالفعل فإن الدراسة التي تقدم بها كل من " **جون كلود شومبردون**، و **مادلين لومير**" ، والتي ساهم بتوجيههما فيها " بيير بورديو" حول علاقات الجوار، تعد مساهمة مميزة منهجيا، ومفاهيميا، وهو ما يتيح إمكانية تجريب مفاهيمها، أو المنهج المعتمد في الدراسة في المدينة المغربية، التي تنتمي الى مجتمع مغاير من حيث التركيبة الاجتماعية، منهج عمد فيه الباحثان الى المزج بين المعطيات الرقمية الإحصائية، والمقابلات مع المبحوثين الى جانب المقارنة بين مجموعة من الأحياء التي توجد بها المجموعات السكنية الكبرى، وهو ما ينبه الى أهمية تجاوز اعتماد المنهج الواحد الوحيد في الدراسات السوسيولوجية الميدانية.

جون كلود شومبوردون – مادلين لومير

المحور الثاني: المؤانسة وتعايش الطبقات

- [2] *Jean-Claude CHAMABOREDON, Madeleine LEMAIRE*, proximité spatiale et distance sociale les grands ensembles et leur peuplement, Volume11 Revue française de sociologie,1970, pp.3-33

أليست سيرورة تشكل خصائص ساكنة المجموعات السكنية الكبرى ذات أهمية لفهم الأشكال التي يتخذها التفاعل الاجتماعي، وضعف الاندماج، والتي تتخذها استعدادات المؤانسة او الحساسية في إطار الوجود؟ ألا نخاطر بالوقوع في الخطأ من خلال إرجاع بعض الظواهر الى مصدرها الحقيقي، كالتركيبة السكانية ونجعلها مستقلة ومتضخمة، الى الحد الذي نبدي من خلاله فضولا لمعرفة أسباب الظاهرة ونحدد سوسيو-جغرافية المجموعات السكنية الكبرى، او بالأحرى فهم دلالات المنادين بالتحولات غير المحددة بشكل جيد؟ أليس كذلك من المبالغ فيه بالنسبة لمسلمات توجهات الارادة والمثالية أن تتوجه لدراسة المقاصد (النوايا) منذ الوهلة الأولى واعتبار متوسط مدة الإقامة تمثل تعبيرا عن " الذوق" او " غياب الذوق"(gout et dégoût) بالنسبة للمجموعة السكنية دون الاخذ بعين الاعتبار الحظوظ اللامتكافئة لولوج نوع اخر من السكن، وبالتالي مدة غير محددة لإنجاح حظوظها وفرصها؟ هل يمكن اعتبار ان ارتباط الساكنة بإقاماتها السكنية راجع إلى إعجابهم بها ام الى ما يجعلهم يرتبطون بها ؟[3] إن التصريحات السلبية تصبح أكثر ترددا كلما ارتقينا في التراتبية الاجتماعية[4] (السلم الاجتماعي)، لكن سيكون بمثابة فشل معاينة التعبير المباشر للمواقف العميقة المتعلقة بالتعايش و تقارب الطبقات وان نريد التوصل بالتالي الى نتائج مباشرة حول معايير المؤانسة، والارتياح الخاص بكل طبقة، في تعارض على سبيل المثال

[3] : "على اعتبار ان عدم الاستقرار دليل موضوعي على وجود الإنفصال إن لم يكن التنافر، نستطيع ان نؤكد ان المجموعات السكنية الكبرى ب " تولوز" تمارس على ساكنتها تأثير طاردا أكثر شدة بالمقارنة مع الأنواع الأخرى من السكنى". فانتقاد الأخطاء التي يمكن إرجاعها الى الشرط الوحيد الفيزيقي (المادي) للسكن تمثل أهمية غير متناسبة («تأثير نوع السكنى على علاقات الجوار يظهر مع ذلك غير ملحوظ مقارنة مع الفعل الممارس بواسطة أقدمية الاستقرار")، ألا يجب اخذها بعين الاعتبار من طرف مسلمة حرية الاختيار المطلق؟
الأقدمية في الاستقرار لا تتأسس فقط إنطلاقا من تاريخ بناء الإقامات، ولكن أيضا على متوسط مدة الإقامة بالنسبة لمختلف المجموعات التي ترتبط بفرص ولوجها الى اشكال أنواع أخرى من انطلاقا السكن. غنها تعتمد إذن في تحليل أخير على التركيبة الاجتماعية للساكنة. (**Raymond LEDRUT**،l'espace sociale de la ville, paris, anthropos, 1968, p.60,187).

[4] : كشف البحث حول المجموعات السكنية الكبرى المشتركة، 21،5 بالمئة من العمال غير راضون، مقابل 26،5 بالمئة من المستخدمين، و33،5 بالمئة من الأطر المتوسطة، و5،66 بالمئة من الأطر العليا والمنتمون للمهن الحرة. وكذلك ما يرتبط بالمستوى التعليمي، فإن 5،16 فقط حاصلون على شهادة الدروس الابتدائية عبروا عن عدم رضاهم في مقابل 28 بالمئة ممن هم غير راضون لديهم شهادة التعليم الإعدادي (السلك الأول) او حاصلون على شهادة التأهيل المهني، في حين تمثل الفئات غير الراضية والحاصلة على البكلوريا أو التي لديها تعليم عالي نسبة 57 بالمئة. إذا كانت النتائج والمعطيات المحصلة من طرف " Paul clerc بول كليرك لها نفس المعنى (حيث بين 36 و37 بالمئة أطر عليا ومتوسطة وأفراد ينتمون الى المهن الحرة ينتقدون ويعاتبون بناء المجموعات السكنية الكبرى مقابل 29 بالمئة الموزعة على الفئات الأخرى التي عبرت عن الرضى)، فإن تلك النتائج أقل دقة، حيث ان السؤال في عموميته الكبرى اعتمد على مقاربة واستحضار الوضعية العامة المرتبطة بالتعمير أكثر منها اعتمادا على التجربة الخاصة بالأفراد. فالتحفظات على الشروط الخاصة بالسكنى تفقد قيمتها بمجر ان يتضمن السؤال حكما عاما حول مشاكل السكن.

مع الطبقات الراقية التي تعادي التعايش مع الطبقات الشعبية، والتي تقبل أشكال التبادل والعيش في الجماعة، كما يمكن إضافة أيضا المجموعات ذات المتطلبات المبالغ فيها من حيث شروط السكن، والمجموعات التي تتميز بانعدام طموحها، او التي يطغى عليها بالجهل ، و التي تقبل باقل ما يتوفر.

لفهم تباين المواقف حول المجموعة السكنية يجب الأخذ بعين الاعتبار بعض الأهداف التي تحدد الممكن والمستحيل لكل جماعة على حدة في مسألة السكن[5]. إن دلالة السكن والتقارب المجالي التي تظهر تمثل وظيفة المسار الذي انخراط كانت فيه كل مجموعة، وهو معبر مؤقت ولحظي، في المسار الذي سيقود إلى شروط أخرى من السكن او الى وضعية مستدامة (ثابتة)، يجب القبول بها مع ذلك مهما كانت قابلة للانتقاد، بالنظر الى ما ستمح به لتجنب التهنئة. باختصار للمفارقة فإن المواقف تجاه المجموعة السكنية تقوم على الفرص الواجب تركها، مما يعني نوعا ما من التحرر بالمقارنة مع الإكراهات التي تحدد شروط السكن[6]. لذلك فإن الامر يتطلب الكثير من السذاجة لتأويل الإجابات المتعلقة بالأسئلة العامة حول المجموعات السكنية الكبرى، دون الاخذ بعين الاعتبار مجموع الإكراهات التي تخول الحصول على السكن بشكل خاص عند الطبقات الشعبية. هنا بالذات يقوم السوسيولوجي بطرح السؤال (في صيغة الذوق) (حول الذوق)، وهنا حيث يعتقد انه يكتشف اسرار التعايش (sociabilité المؤانسة) وان الفضيلة ليست خامدة بقدر ما هي فعل جماعي، في هذا السياق يجيب أفراد الطبقات الشعبية على ما يتعلق بالإكراهات (بان ما يهم هو التوفر على سكن: وهي اجابة العديد من الأفراد) (فهناك دائما أناس يسكنون في

[5] : نستطيع ان نشكل فكرة تقريبية، دون ان نضطر الى التفريغ الدقيق للمتغيرات الخاصة من طبقة الى أخرى من خلال الاسترشاد ببحث يعود لسنة 1963 " فحوالي ربع عمال الأشغال المتزوجين لا يتوفرن منذ سنة زواجهم على سكن مستقل (او حتى على غرفة في فندق او في إقامة) ... 15 بالمئة من عمال الأشغال تزوجوا قبل سنة 1954 وارتحلوا بين سنة 1961 و1963 لم يتوفروا سنة 1960 على مسكن عادي: فقد سكنوا في الفندق او في شقة مفروشة، او تشاركوا مشكنا مع أشخاص اخرين." عن شكل توزيع نوع السكن الذي يتم الإقامة فيه في السنوات الأولى من الاستقرار يظهر مدى التخوف، لذلك فثمن، السكن جديد او بشكل خاص الموجه للكراء، و صنف الشقق المعروضة في H L M : من بين المشغلين الذين استقرا لأول مرة سنة 1963 " 70 بالمئة أقاموا في مساكن قديمة مقابل 33 بالمئة ممن بحثوا مساكن كراء دون اثاث، و 21 بالمئة استقروا بشقق مفروشة او بالفنادق"، و 20 بالمئة استفادوا من سكن) INSEE – CREDOC, aspect du logement en France en 1963, extrait du bulletin statistique du ministère de la construction, s. d. , p 25, 26).

[6] : بالنسبة للسكان الذي يقيمون بشكل مشترك فإن الرغبة في مغادرة السكن تجاوزت 53 بالمئة بالنسبة للعمال، الى نسبة 56 بالمئة بالنسبة للمستخدمين ثم ارتفعت الى نسبة 62 بالمئة بالنسبة للأطر المتوسطة و80 بالمئة بالنسبة للأطر العليا وأفراد المهن الحرة، ومن خلال الدراسة التي قام بها " بول كليرك" فغن 49 بالمئة من الأطر العليا و44 بالمئة من الأطر المتوسطة، مقابل 31 بالمئة من المستخدمين و32 بالمئة من العمال يفكرون في عدم الإقامة مطولا في المساكن التي يمكثون فيها. (بول كليرك، المرجع السابق) " أيضا اعتبر " ***بول كليرك*** " ان المشغلين ذوي الدخل المرتفع هم الذين ينوون بشكل أكبر في المغادرة " ص 238

وضعية سكن غير لائق (تجيب زوجة عامل تسقيف المنازل بالزنك)[7] كما يجيب (احد المستخدمين) ب : (أنني راض عن المجموعة السكنية الكبرى ففي الوقت الذي نستطيع نحن فيه التوفر على سكن فإن اخرين في وضعية سكن غير لائق). هنا تظهر المجموعات السكنية الكبرى باعتبارها حلا لازمة السكن التي عانوا من أثرها عليها شخصيا، في هذا الصدد توقل (زوجة مرافق عامل البناء[8] : وهي مندهشة: لا أعتقد ذلك، ولكن الامر جيد بعد ان سكنا في الثكنات). ومع ذلك فهم يستغربون بشكل كلي الأحكام القبلية العدائية التي تنشرها الجريدة والتي نصادفها في الغالب في خطابات أفراد الطبقات المتوسطة، او الراقية: وفي هذا الصدد يصرح " عامل مؤهل وصاحب ملكية: بالنسبة لي فإنني لا اتأثر بكل هؤلاء الناس، إذ لم تراودني الفكرة بانه يمكن ان يكون قفص أرانب او خم دجاج كما نطلق عليه)، كما يصرح أيضا " أحد الأطر المتوسطة، وصاحب ملكية: فغن المجموعة السكنية الكبرى ليست إلا ثكنة او أقرب ما يشبه الرف).

إلى جانب ذلك فالأراء بخصوص المجموعة السكنية الكبرى ليس لا معنى لها إلا من خلال الارتباط بنسق الإكراهات، والتحولات من طبقة الى أخرى، والتي تتحكم في مسألة الحصول على مسكن، إذ ان السلوكات الموجهة للتعايش لا يمكن ان تفهم بدون الرجوع الى تجانس الساكنة، وبأشكال مختلفة ضمن مختلف المجموعات التي يمكنها ان ترسم معايير التعايش خاصة بطبقتها، التي توافق وضعيتها.

قد نعتقد انه من خلال قراءة بعض الدراسات ان موجهات السلوك الاجتماعي لا تقدم سوى شيئا عدا قابلة محدد للتبادل وكذلك إزهار الحياة الاجتماعية إنهم لا يرتبطون بالوضعية الاجتماعية إلا بشكل غير واضح، وبالتالي فالسوسيولوجيا هنا تريد هنا ان تحدد مجال الدراسة " **الإنسان الناطق homo loquens**" المتميز بملكة الكلام وإقامة التعارف مع جيرانه، وعلى العكس من ذلك فإنه يكفي مساءلة وتحليل سلوكاته من خلال الرجوع الى أهداف انشطته الطيبة، والى أوهام التبادل الاجتماعي المكثف، والقيام بالتالي بالتعميم لملاحظة بواعث التعايش الاجتماعي الأكثر غرابة، والذي يكشف كل وضع اجتماعي وكل علاقة بالمجموعات الاجتماعية الأخرى. هل يمكن فهم التناقض الواضح الذي يؤكد ان افراد المجموعات يشعرون بالرضى، في حين يعاني الاخرون من ضعف التضامن بين الساكنة، غنهم أكثر عددا ليتم إدماجهم ف شبكة تبادل الخدمات، في حين ان العمال والمستخدمين نادرا ما يتواجدون في مثل هذا النوع من العلاقات، إذ نلاحظ بخصوص المجموعات التي ذكرناها أخيرا أن تبادل الخدمات يظهر اكثر من مجرد كونه

---

[7] : **بول كليرك** مرجع سابق، ص 377-378.

[8] : ***"بول كليرك"***، مرجع سابق ص 346، " 82 بالمئة من ساكني المجموعات السكنية الكبرى يحسون بأنهم يسكنون في ظروف أحسن من السكن السابق، فالتحسن الأكثر ملاحظة هو جودة السكن أو البناء. في السكن المشترك فغنه من غير النادر ان نجد سواء عند العمال او المستخدمين عائلات تقيم في شقة مفروشة او شقة مكونة من غرفة واحدة (28 بالمئة من العمال و1" بالمئة من المستخدمين).

اتفاقا يعبر عن وجود الليونة بين الأفراد والذي يفترض وجود تضامن عميق مؤسس على الإنخراط، وهوية الشرط و الترابط؟[9] بالنسبة للفئات الراقية من الطبقات المتوسطة "فالعلاقات الاجتماعية" تمثل نشاطا خاصا ومحدودا يتم استخدامها في الغالب كمقاولة نسقية ، (نتحدث على (ما يفعل) او ما (يحافظ) على العلاقات).

إضافة الى ما سبق فهذه الوضعية الجديدة لا تجعلهم في موقف حرمان[10] بل على العكس من ذلك ففي وسط الطبقات العمالية فغن العلاقات تمثل الرابط بالمجموعة في مجملها، والتي تكون مؤسسة على شكل من التضامن الضيق: وهو تضامن يضمن الوقاية من العالم الخارجي، بحيث تتضاعف مع نسق التعاون المتبادل غير القابل للاختزال تجاه التبادل المعقلن المبني على عملية حسابية إقتصادية محضة[11]، وتبعا لهذه الاختلافات فإن التصريحات الرسمية الحقيقية يمكن ان تأخذ معنى جد مختلف، كما ان الإجابات على الأسئلة الخاصة بالترابط المتبادل، وتبادل الخدمات ليست مضبوطة مثلما يريد ان يراها المحللون باعتبارها مؤشرا للإندماج العميق[12]. الى جانب

---

[9] : في المجموعات السكنية التشاركية، 57 بالمئة من الأطر العليا والاطر المتوسطة تؤكد انه في الحي نعيش " كل شخص من اجل ذاته" اما ونسبة 37،5 بالمئة من المستخدمين يصرحون بنفس المعطى، في مقابل 54،5 بالمئة من العمال والمستخدمين ينخرطن في شبكة تبادل خدمات متبادلة بين الافراد، مقابل 81 بالمئة بالنسبة لأفراد الطبقات المتوسطة الحرة والطبقات العليا.

[10] : **" ريموند ليدروت"** لاحظ ان " علاقات تردد الجيران بعضهم على بعض... أكثر تقدما لدى الأطر مقارنة بالمجموعات الأخرى" (مرجع سابق ص 187). إن عمل " الاستكشاف الاجتماعي" الذي يحاول من خلاله المتدخلون تحديد مواقعهم والتعبير بشكل تدريجي عن حالتهم، مستعرضين في ذلك " اخلاقهم" من خلال مناقشة تصوراتهم حول العديد من القضايا المميزة، " هذه الوضعية وصفها (***HERBERT JEAN GANS***) **" هربرت جون غانز"** (سوسيولوجي امريكي من اصل ألماني 1971 -2007)، بانه في حالة حي إقاماتي جديد: " الناس يخبرون بعضهم بالمكان الذي قدموا منه، وما الذي يفعلونه ثم يخوضون حديثا حيث تتحدث النساء عن طرق تربية الاكفال او الأشغال المنزلية، والرجال حول البستنة او السيارات او العمل. كل موضوع يساهم ف يتقارب او تباعد المتحاورين بعضهم عن بعض محددين مكامن الاختلاف والمواضيع التي تمثل طابوهات" (أصحاب الرافعات، تشريح الضواحي: ولادة المجتمع والسياسة في مدن أمريكا الجديدة، «***ALLAIN LANE*** the Penguin presse 1967 p 46

[11]: Cf. ***Michael Young*** et ***Peter WILMOTT***, family and kinship in east London»، Harmondworth, Penguin books, 1964 (Nv.éd.)، (1st Ed, London, Routledge and Kegan paul,1957) ; E.A. Weinstein «the social debt: an investigation of lower class and middle class norms of social obligation»، American sociological reviw, 27, 1962,p.532-539 ;ainsi que ***H. COING***, rénovation urbain et changement social, les éditions ouvrières, paris, 1966

[12] : إذا كانت نسبة 75 بالمئة من الساكنة تصرح انها تنخرط في شبكة تبادلات الخدمات، فغن 31 بالمئة فقط من العائلات التي لها أطفال في سن الحضانة يوافقون على حضانة الجيران لأطفالهم، إذا صرحت نسبة 70 بالمئة بمعرفتهم بالجيران، مقابل فقط 23 بالمئة اللذين يسهرون

ذلك فإن ضعف الترابط المتبادل، المرتبط بتجانس المجموعات الاجتماعية، وليس بخصوصية وليس بقابلية التواصل، الذي يجب ان يفسر العلاقة بالجيران. إن الجوار ينبه الى جانب من تحتم علينا المجموعة السكنية السكن الى جانبه (السكن معه/ أي مجاورته). إذا افتقدت مساحة العلاقات الممتازة في الجوار[13]، وإذا افتقد كفضاء مؤهل ومعروف اجتماعيا بقدرته على توسط التعارضات الأتية من العالم الخارجي والعالم الاسري[14]، حيث ان الشرط الأساسي لتحقق العلاقات الاجتماعية هو الجوار والتجانس الاجتماعي للساكنة. فالعلاقات تقوم على مبدأ الاختيار الحر الذي يتجاهل التقسيمات الجغرافية، والذي يمكنه تجاوز الحدود الخاصة بالجوار وحدود الحي السكني، وهي ما تمثل طريقة للتأكد من أن الاختيار " حر" بمعنى انه ليس مقيدا بالوسط الذي ننتمي إليه، في هذا السياق تصرح " زوجة عامل مطحنة"[15] (إن الأفضل هو الخروج من المنزل ومزاولة أنشطة بالخارج، فمن الروعة التواجد برفقة نساء خارج المنزل، اما الجوار فيجعلنا دوما مقيدين بالأعمال المنزلية).

ألا يمكن إذن تفسير واعتبار فرضيات نزعة الإرادة والإصرار الاستثنائي حول " التعايش" الذي يميز عددا من الكتابات السوسيولوجية حول الشروط الجديدة للسكن يوجهها خطاب (طوباوي، خيالي)؟ وبالفعل فإذا قمنا بتركيب نسقي للعبارات التي يتم إخفاءها في كل كتاب بواسطة مجموعة من الإثباتات المتعارضة للخطابات الجديدة، او بواسطة عملية وصف الانتماء السوسيولوجي، سيتضح ان المبدأ المتحكم في كل عمليات التحليل هو توجه يحاول التأكيد على فكرة ظهور " مجتمع جديد" تختفي فيه الانقسامات الطبقية[16]، ومن بين بعض الأمثلة الأخرى نجد بعض التوضيحات من طرف هذه الأطروحات القائلة أن : " التواجد في نفس الوحدات

ذاتيا على حضانة بنائهم ونسبة 5 بالمئة فقط لا يعرفون الجيران. (***E. LEDRUT***) مرجع سابق، ص 62-78)

[13] : في المجموعات السكنية الكبرى التشاركية غالبية الأصدقاء الذي يترددون على الساكنة هم من خارج الحي، غما ينتمون الى نفس المدينة (24 بالمئة بالنسبة للطبقات الشعبية، و10 بالمئة بالنسبة للأطر المتوسطة والعليا) او انهم بشكل خاص من خارج المدينة (48 بالمئة بالنسبة للفئات الشعبية، و63 بالمئة بالنسبة للطبقات المتوسطة والعليا)

[14] : " المستجوب هنا يشعر هنا بالفخر... لا تشاهدون الأشخاص يخرجون بالياقات، يجب ان تكون دائما حسن الهندام وترتدي قبعتك للخروج، اما اين كنت سابقا فكن اخرج الى المخبزة فقط بالياقة لكن هنا لا يمكن ذلك البتة!" (زوجة عامل متخصص o s، سنها 35 سنة)

[15] ، يصعب بالتالي هنا ملاحظة تعمق او تحول للمؤانسة بين الأفراد: ... " علاقات الجوار تمتد فهي لا تتحدد فقط بمدى التقارب: في الواقع فالعلاقات الشخصية تصبح أكثر انتقائية وأكثر عمقا"، (***P. H. CHOMBART DE LAUWE***, famille et habitation, paris, trait caractéristique de ces relations.

[16] : هذا الانتقاء يستطيع نوعا ما احترام التنوع الخاص بكل مؤلف وأيضا منشغلا بإعادة التلاحم. فالتيمة الإيديولوجية تم عرضها هنا وتوجد الإشارة اليها في مظاهر وإرهاصات عديدة ومتنوعة لدى أغلب الدراسات التحليلية، والمبدأ الذي يمنح التماسك والوحدة لهذا الحقل من التفكير هو الترسبات المتطابقة لدى جميع المتغيرات الفردية والظرفية

السكينة الخاصة بالإشغال من خلال الانتماء الى فئات اجتماعية جد مختلفة يؤشر على تراجع في تاريخ الحضارة الصناعية... ففي المختبرات يتم بشكل عشوائي تصميم احياء جديدة تحت ضغوطات متعارضة للبنيات الاجتماعية المستقبلية"[17]، وفي هذه المجموعات السكنية الكبرى واكثر من أي مكان اخر يتم إنشاء ثقافة جديدة: ثقافة الحشد.

إن المجموعات السكنية الكبرى تدعم وتتيح انتشار شروط وأوضاع هذه الثقافة الجديدة، ففي المجموعات السكينة الكبرى نصبح بدون ماض، وبدون تاريخ... إنه ميلاد مجتمع جديد"[18]. يمكن ان نميز بين شكلين من هذه اليوتوبيا: تتميز الأولى بإرادتها الطبية وجانبها التفاؤلي إذ تدعم الانتشار المهول للحاجات المفترض انها كوني، والتطلع للعيش في وضعية بورجوازية صغيرة " ساكنة الحي يغيرون من تفاصيل وجودهم كلما أتيح لهم تغيير وضعيتهم في نفس الوقت." إن فعل السكن ف بالحي يدفع بعض العائلات الى البحث عن وضعية اجتماعية أفضل وأرقى، وعلى فبالنسبة للأخرين ومن أجل ألا يصبحوا متمايزين فإنهم يعملون على تبسيط شروط حياتهم... إن الاختلافات والتعارضات التي تتكرس او التي يمكن ان تتعرض للضعف او الاختفاء إذا كانت هذه الحركية الاجتماعية مدروسة بشكل جيد"[19]. إن الأمال المصاغة على شكل هندسة اجتماعية تثار بشكل غير طبيعي والتي تمثل الاستقلالية ، بمعنى استقلالية الفرص الموضوعية للارتقاء والتطلعات نحو حركية مستندة على قناعة عميقة مفادها أن هذه التطلعات عامة نحو الارتقاء ونحو تحقيق ظروف متوسطة وهو تطلع جد قوي لتحفيز من هم أدى مرتبة من مستواهم لإرجاعهم نحو المسار ونحو سعادة تافهة. مثالية السوسيولوجيين يمكن ان تعبر عن " مقاصد" او نوايا خاصة بسياسة بناء المجموعات السكنية الكبرى، وهي جد متقاربة مع خطابات تتطرق الى لعديد من المواضيع ذات المصداقية في التقدم الموعود به لصالح لطبقات العمالية المتواصل معها، ومن امثلة الطبقات المتوسطة تشهد المجموعات السكنية الكبرى أجهزة لسياسة التمدين " هناك عائلات تستطيع ان تتعلم كيف تعيش بشكل أفضل في علاقتها بالأخرين " حسب تصريح مستخدم في بنك[20]" ، وفي نفس الاتجاه فإن مثالية المجتمع بدون طبقات يتجسد في أحلام العديد من مواضيع الطبقات المتوسطة: " إنها إقامة سكنية عمالية حيث ارتقى العامل درجة، وهذه إقامة للبورجوازيين حيث صعقت البورجوازية، واستفادت من وعي العمال،... هذا الخليط يقع، يوجد كل شيء ولا يزعج هذا الامر أحدا، فليس هناك فروقات خالصة، نقوم بالتركيب (تصريح مستخدم)[21].

---

[17] : ***Paul-Henry CHOMBART de Lauwe*** ، ***"بول هنري شومبارت دولاو***، الأشخاص والمدن، باريس بايوت، 1965، ص 123

[18] : ***René KAES***، vivre dans les grands ensembles, paris, Edition ouvriere,1963, p.307

[19]: ***Paul-Henry CHOMBARTde Lauwe*** ، " بول هنري شومبارت دو لاو، الأشخاص والمدن، باريس بايوت، 1965، ص 154

[20] : ***بول كليرك***، مرجع سابق، ص 199

[21] : ***هيلموت كوانغ HELMUT COING***، مرجع سابق ص 202

ثاني شكل من اليوتوبيا وهي أكثر راديكالية وأكثر استغلالية، وهي خلاصة لمستجدات الاحياء ومستجدات الساكنة المقيمة بها، ومرتبطة بالحاجيات المستجدة التي تولد لدى الساكنة: (...) تجربة الاحياء السكنية الجديدة تتيح تصور الحاجات في الوضعية التلقائية، والأصلية والتي تكون تقريبا خالصة، حيث لم تتلقى بعد تحفيزات وتسهيلات، وأيضا إيديولوجيات وتبريرات، انهم يعبرون أنفسهم[22]. بشكل مختصر فالخانة الاجتماعية التي فيها تجمعت ذوات الطبقات المتوسطة، عوض تجربة العودة الى الأصول، بانسحاب المجموعة السكنية الكبرى من تأثير المجتمع المحيط، فهي تتيح انبعاث الرجل الجديد، سواء من خلال البورجوازية الصغيرة او من خلال الرجل الأبدي المنتشل من أشكال الاغتراب، والأساطير، والضرورات. نماذج هذه الانعكاسات تفترض ان التغيير الوحيد لشروط السكن والجوار والطبيعة تنتج انتقالات تلقائية وسريعة. ليكون الحلم المثالي ممكنا يجب اعطاء الذوات التي تظهر احتياجاتهم غريبة بشكل تلقائي او عن طريق التأثر بالأخرين.... [23]. من اجل تبرير معقول يجب من وجهة نظرنا ان ننسى ان الولوج الى السكن الجديد يختلف من فئة الى اخرى، فالطموحات تقاس وفق الإمكانيات الموضوعية، ذلك ان شروط السكن والجوار لا تكفي لتغيير المكانة والوضع الاجتماعية وأخيرا فالتحولات الاجتماعية لا ترجع الى وجود تحولات في العقليات.

ان الخاصية المشتركة للتحولات كانت تؤكد على اندثار الطبقات الشعبية، سواء بالاستفادة من البورجوازية الصغرى، او الاستفادة من "الطبقة العمالية الجديدة"[24]. لذلك يمكن ان نتساءل عما إذا كانت هذه التحليلات لا تسمح بحل مشكل تناقض الارتباط الذي كشفت عنه مقابلة المفكرين (المنظرين) مع عموم الساكنة، والتي اخذت اشكالا متغيرة حسب الوضعية المختلفة لعدد من السوسيولوجيين في الحقل الثقافي، ووفق المسار الاجتماعي الذي كانوا يقودونه[25] ، نستطيع ان نكشف في مجموعة من التحليلات. عن المخاوف المرتبطة بتنمية التحضر وامتداد الطوباوية التي ظهرت، في بريطانيا بشكل خاص باعتبارها انعكاسا لنجاح البروليتاريا الحضرية. هكذا كان الوضع مع نموذج " مدينة الحديقة" التي تصورها " ابينزر هاوارد ***Ebenezer HOWARD***" (Tomorrooow 1998)، خلاصة سعيدة للمدينة والبادية، وأيضا لدى " بيتر هنري مان ***Peter***

---

[22] : ***هنري ليفبفر*** " المجموعات المشتركة الحضرية الجديدة، المجلة الفرنسية السوسيولوجية 1 (2) أبريل – يونيو، 1960، صص 186-201، ص 198

[23] : **Paul-Henry *CHOMBART* de Lauwe**، " بول هنري شومبارت دو لاو، الأشخاص والمدن، مرجع سابق ص 18، وأيضا العائلة والسكنى الجزء 1، مرجع سابق، ص،111 (أشرنا عليه نحن).

[24] : الطبقات العمالية الجديدة ليس لها إذن السمات المميزة للأرستقراطية العمالية القديمة: فهي السلبية، عدم التمايز، الفساد... الطبقة العمالية الجديدة معززة بدورها في عملية الإنتاج وبالتلاحم الاجتماعي القوي تبحث عن خلق علاقات اجتماعية معقدة خارج الحي، " ***هنري ليفبفر***، مرجع سابق ص 200 - 201

[25] : ***بيير بورديو وجون كلود باسرون*** " سوسيولوجيا الميثولوجيا وميثولوجيا السوسيولوجيا"، الأزمنة المعاصرة (211)، صص. 998-1021.

"***HENRY MANN*** في كتاب مقاربة للسوسيولوجيا الحضرية approach tu ruban sociology" حيث يشير الى ان هذا النموذج مصمم لتقيم فيه البورجوازية المختارة " genteel middle class"[26] حيث يتشكل مركزها من مستشفى، ومكتبة مركز للسرطان، إضافة الى بلدية ومتحف. هذه الطوباوية التي مرت عبر مجموعة من الوساطات المختلفة، تجعلنا نلاحظ أن سياسة التحضر تنتعش في عدد مم البرامج التي تصف مدينة صحية، نظيفة، ومتناغمة، مدمجة على شاكلة مدينة صغيرة تقليدية وخالية من البروليتاريا، التي تختفي او تتحول بواسطة فضائل (اعمال الخير) الأشخاص المبشرين والطبقات المتوسطة [27]هذا التوازن المتناغم للطبقات يضمن النشاط والتوافق داخل الجماعات المتخيلة من طرف هؤلاء المخططين، حيث يدعم افراد الطبقة المتوسطة " القادة" لحشد أفراد الطبقات الشعبية " إذ يجب ان تهدف كل خطاطة تحضر الى إنتاج وحدات جوار مدمجة بشكل جيد في المدينة ومنسجمة بشكل متوازن من زاوية نظر التركيبة الاجتماعية"[28]. انه لا يوجد حتى هذه اللحظة اتجاه نظري يقارب " الجوار" كمفهوم خاص او متميز للسوسيولوجيا الحضرية، وبخصوص مفهوم " المؤانسة" كموضوع ذا امتياز بالنسبة للأبحاث الميدانية للسوسيولوجيا الحضرية، التي لا تفسر نموذج النوستالجيا الشعبية الخاصة بالجماعة القروية (villageoise)، المثالية[29].

---

[26] :Peter henry Mann، An Approach to Urban sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1965, pp121-124 ويمكننا ان نرى في أصل هذه اليوتوبيا نفس المخاوف تجاه عملية التصنيع ودستور البروليتاريا، الطبقة غير المثقفة التي اثارت العديد من الافتراضات حول الثقافة.

L'adjectif **gentel**, dont le sens original est « bien né », la définition française de « gentel » elle renvoie à une qualité du comportement, voire l'apparence, qui élimine complétement la référence à l'appartenance sociale. (MONTANDON**, Alain**, dictionnaire raisonné de la politique et du savoir-vivre, du moyen âge à nos jours, éd. Du SEUIL, 1995, p246

Cf. ***R. Williams***, culture and society, 1780 – 1950, Harmondworth, Penguin BOOKS 1963 (2 nd éd. Signalons la traduction récente du livre de E. HOWARD : les cité-jardin de demain. Paris, Dunod,1969

[27] : كذلك ففي فرنسا في القرن التاسع عشر فان التنديد بأحياء العمالية باعتبارها " قطع مجزءة" شكل تهديدا للمجتمع يسببه تقارب وتجمع للبروليتاريا، غذ على العكس من ذلك فإن الثناء على التقارب المجالي بالنسبة للطبقات الاجتماعية ساهم في المضاربة حول السكن. (***Roger-Henri GUERRAND***, les origines du logement social en France, édition ouvrières, 1967.)

[28] : " **بيتر هنري مان**" مرجع سابق صص 174.

[29] : " ***بيتر هنري مان***" (مرجع سابق) الذي تتبع تاريخ هذه التصورات والذي بين كيف تمكنت من الترسخ في التفكير الحضير في بريطانيا الكبرى (ص 170) والتي تتضمن أيضا " نوعا من اللاوعي " في السوسيولوجيا الحضرية، المؤشرة على أهمية مفهوم الجوار في التقليد السوسيولوجي (ص 149)، دون التركيز على مساءلة الامتيازات النظرية التي استفاد منها هذا المفهوم.

بشكل أقل توجسا وحذرا من السوسيولوجيين الذين يصرون على اعتبار ان التقارب المجالي بين الطبقات الاجتماعية مقدمات ضرورية وضمانات لتحقيق التقارب الاجتماعي، فساكنة المجموعات السكنية الكبرى يصنفون الموضوع وفق التقرير الخاص بهذه الوضعية الاستثنائية المتعلقة بالتعايش، وحتى عن تم في الغالب اللجوء الى مفاهيم قبلية (prénotions)، إن عملية مزج وخلط الطبقات الاجتماعية لا يتم اعلانها باعتبارها خلطا غير مرغوب فيه، واستئجارا باعتباره تقاربا، رغم كونه العبارة الأكثر تداولا في التصريحات حول المجموعات السكنية الكبرى.[30] فبمجرد تجاوزنا الرأي العام حول مشكل التحضر، فالإجابات تدمج دوما أهمية الرجوع الى السياق الاجتماعي، مادام الأفراد يتموضعون من خلال ارتباطهم بالمجموعات الأخرى ليس فقط بشكل لحظي ولكن أيضا في إطار فرصهم المستقبلية. ذلك ان الاستعدادات تجاه المجموعات السكنية الكبرى تعبر عن الارتياح الاجتماعي الذي يعيشه الأفراد من خلال التقارب الاجتماعي مع مجموعات مختلفة. من خلال حديثنا عن المجموعات السكنية الكبرى، فإنهم يتحدثون في الواقع عن المسافة الحقيقية التي يشهدونها ويلاحظونها توجد بين مجموعتهم والمجموعات الأخرى التي تم إحداثها بشكل غير طبيعي (مصطنع)، الى جانب ذلك فان أفراد الطبقات الشعبية او الطبقات المتوسطة أثناء الحركية يعبرون عن ارتياح كبير بخصوص وضعية التي تدعم يوما فرصة احتكاكهم لفئات التي يتطلعون اليها، تمثل أسباب للاعتقاد انهم يقتربون من وضعيتهم، الى جانب وجود نماذج تعلم تتعلق بشروط تطلعاتهم: " في هذه المجموعات السكنية الكبرى نحن جد مختلطون، حيث يوجد طبيب، و عامل في نفس الدرج او السلالم، كما ان الأجراء مختلفون بعضهم عن بعض، "هذا الامر لا يعتبر مشكلة بالنسبة لي، فالبيت الصغير المحاذي للسلالم يمثل في الان نفسه المنزل، والأسرة" (مقتبس عن تصريح عامل، وصاحب ملكية). ، وفي تصريح مستجوب اخر:" إن الاختلاط لا يمثل مشكلا بالنسبة لي، فما أفضله هو ان يكون الجميع في نفس المستوى، وأن يكون ازواجنا جميعا عمالا، وأن نكون جميعا على نفس المسار، إننا متعاطفون، لكن يجب دوما تواجد شخص يمكنه ان يمدنا بالمعرفة التي لديه، يجب الاستفادة من معرفة الاخرين: (تصريح زوجة عامل مؤهل، ومستأجر لمنزل). اذن يتضح ان الإستعددادت متغيرة وفق ما إذا كان سياق السكنى يتيح مقاربة الفئات الراقية او على العكس من ذلك يمكن فقط من مقاربة الفئات الشعبية.[31]

في جميع الفرضيات نجد ان" انونيما" الأحياء الجديدة، التي تمكن من احداث القطيعة مع مجموعة القرابة ومع نظام رقابة جماعة الإقامة المندمجة، تتوافق بشكل جيد مع وضعية

[30] : يوجد العديد من. المالكين والعديد من طبقات اجتماعية مختلفة" (بائع في متجر كبير)، تنم الاستشهاد به من طرف «***بول كليرك***« مرجع سابق ص 380

[31] : من اجل الاستدلال على أهمية التعايش بين الطبقات في تحديد المواقف او الاستعدادات تجاه المجموعات الاستعدادات السكنية الكبرى، يجب الأخذ بعين الاعتبار في تحليل الاستجوابات الفئة متغير الفئة الاجتماعية للمستجوبين (لكن يجب تحديدها بشكل جد متناه من اجل ان لا نقع في الجانب الخاطئ من الحياد بناء على الانتقاء) كما يجب الانتقاء الانتباه الى التركيبة الاجتماعية المفصلة للحي التي تقيم او التي تتوافد من وقت الى اخر.

الجماعات التي توجد في طور الحركية، التي تتجه نحول إبعاد ذاتها عن المجموعة المنتمية لها. وعلى العكس من ذلك فإن المجموعات المتواجدة في الموقعين الأخيرين من التراتبية تنتقد هذه الوضعية تصبح [32]خاضعة لتعايش غير طبيعي. عن المجموعات الأكثر تعرضت للاحتقار والاصطدام مع طرق عيش صعبة المنال وبإحساس يشبه الإذلال. " يبدو ان الحياة في مدينة (سارسيل sarcelle)، ستشعرنا بفخر أقل من التواجد هنا، إنه تجمع أكثر فقرا. فهنا يوجد مزج وخلط، من كل شيء، ولا يوجد شيء لفعله هنا، فالأشخاص لا يشعرون محترمون حتى، فهم يتدافعون عليك...! وهو شعور بالفخر. يوجد الكثير من الأشخاص من ذوي الأملاك، وهم يعتزون ويفتخرون بذلك!" (تصريح ل عامل ومستأجر). غن أفراد الطبقات الراقية أو الفئات الراقية من الطبقات المتوسطة تنتقد حتى المبدأ السائد في المجموعات السكنية الكبرى وهم جد حساسون من الصعوبات التي يطرحها العيش المشترك[33]. في الواقع فالأراء العامة في اغلب الأحيان حول المجموعات السكنية الكبرى او حول الإطار الخاص بالوجود او حتى الملاحظات بخصوص التفاصيل في المظهر هي مادية بحثه (خالصة) تعبر بطرق ملتوية وغير مباشرة عن ردة الفعل عن وضعية التعايش هذه[34]. وبالتالي فنحن لا نفهم أهمية الموضوع المثير للضجيج، والتي في الغالب في يتم قبولها في النقديات المتعلقة بموضوع المزج السكني والخلط الاجتماعي ، إذا كنا لا نروى سوى الصعوبات الواقعية جدا للصمت المعيب بالنظر لدلالته الاجتماعية[35]:

---

[32] : في نفس الاتجاه فان احدى الدراسات حول المرأة في المجموعات السكينة الكبرى بينت ان زوجات الأطر المتوسطة هن اللواتي يثمن الإقامة في المجموعات السكينة الكبرى فين حين ان زوجات العمال وكذلك زوجات الأطر العليا ولأسباب مختلفة غير سعداء في الغالب بالإقامة فيها. (« les femmes dans les grands ensembles» :***Michel HUGUET***، revue française de sociologie, 6 (2)، pp215 -227 -juin 1962, avril)

[33] : في المجموعات السكنية التشاركية، نسبة 47 بالمئة من الأفراد يصرحون بأنهم منزعجون من الضجيج، بينما نتقد عدم تصريح العمال، وفقط نسبة 25 بالمئة من المستخدمين بشكل نادر.

[34] : نعم إذا استطعت المغادرة سأقوم بذلك بكل فرح، كل شيء سيء هنا: بناء سيء، الجيران سيئون بشكل خاص" (تصريح محاسب صاحب ملكية) ان التطلع نحو)، الإقامة في جناح يخضع لشروط تحدد من خلالاه كل مجموعة الإمكانيات الموضوعية للسكن (من اجل الحلم بجناح سكن يجب ان تكون القدرة على التطلع الى امتلاكه يوما ما)، هذه الشروط الموضوعية لا تمثل شيئا هاما بالنسبة الى مجموعات أخرى مقارنة بثقافة الحميمية والنوستالجيا التمايزات بين المجموعات الاجتماعية. وهو تعبير بالنسبة لجميع الأطر العليا مقابل نسبة 63 بالمئة للأطر المتوسطة و55،5 بالمئة بالنسبة للمستخدمين، وفقط نسبة 33،5 بالنسبة للعمال الذين يتمنون السكن في منزل خاص. " أرغب في منزل قريب من المدينة: لدينا امتياز الترابط بين بعضنا البعض وهذا جيد" (تصريح إطار متوسط، وصاحب ملكية).

[35] : إذا كان النقد الموجه " للضجيج" يتردد بناء عل حسب نوع الإقامة (12 بالمئة بالنسبة ساكنة الإقامات من نوع « lopofa »، و 28 بالمئة من ساكنة «**logico**»، و 47 بالمئة من ساكنة «H.L.M.B» ، لا تنزع من أي ضجيج)، فإن التركيبة الاجتماعية للساكنة H.L.M.B ترجع ذلك الى جودة العزل الصوتي بإقاماتهم (فهذه الإقامات هي الأفضل بالمقارنة مع إقامات logico ونفس الشيء بالمقارنة مع إقامات «**lopofa**»، إذن فساكنة إقامات «**lopofa**» ينتمون

الضجيج يذكرنا حتى في خضم العلاقات الحميمية كم هم غرباء الجيران الذين يعيشون وفق مواقيت أخرى ووفق اخلاق أخرى ، عن أشكال الضجيج والضوضاء غير المرغوب فيها هي تلك التي تعتمد مناهج تربية قاسية او، او تلك التي تشذ عن العادات الجنسية المختلفة، بشكل مختصر مل ما يرخص لوجود " الفظاظة او قلة الادب"[36]. نستطيع أيضا ان نبين ان أغلب النقديات ترجع دائما الى تعايش الطبقات الاجتماعية[37]، او بشكل أكثر تحديدا الى بنية خاصة للعلاقات الموضوعية بين الطبقات، والتي يمكنها إثارة مشاكل متناقضة في مظاهرها بين المزج السكني، والعزلة.

03 - استنتاج:

من خلال ما سبق يتبين بأن علاقات الجوار في المجموعات السكنية الكبرى، تتيح مساءلة القضايا المرتبطة بالتفاوتات السوسيو-إقتصادية، والثقافية، والطبقية بين مجموعة من الفئات الاجتماعية المقيمة بنفس الاحياء؛ بل وبنفس المجموعات السكنية الكبرى في إطار ما يمكن تسميته بالسكن المشترك، الذي يوضح مدى تأثير سياسة التعمير والإسكان على إنتاج التقسيمات الاجتماعية بين الطبقات، فالشعور بالانتماء الطبقي والاختلافات بين أنماط العيش وما يرافقه من شروط موضوعية للانتقاء والتسلق الاجتماعي، يجعل من الحدود والحواجز بين الفئات الاجتماعية اكثر وضوحا وصلابة، بحيث يلعب السكن المشترك هنا دور المرآة العاكسة لهذه الحواجز و جعلها أكثر جلاء، عكس ما يعتقد مهندسو هذه الوحدات السكنية او حتى بعض

بشكل خاص الى الطبقات الشعبية (54 بالمئة مقابل 46 بالمئة من يمثلون الطبقات المتوسطة والراقية) فين حين انه في اقامات H.L.M.B، فإن الطبقات المتوسطة والعليا تمثل نسبة مهمة (60 بالمئة مقابل 40 بالمئة من الطبقات الشعبية): المصدر: البحث الذي قامت بها لجنة الدراسات الصناعية وتهيئة التراب)، الأحكام حول مسالة الضجيج ترتبط في الغالب بالأحكام حول نوعية الجيران: " يوجد مستشار من العمالية.... غنها إقامة جيدة، لا يوجد فيها في الغالب ضجيج، نجد سائق مركبة، مستخدم في الأشغال العمومية، او الخاصة... إنها إقامة هادئة وهي نظيفة إن سكننا جيد" تصريح مستخدم.

[36]: " إن ما يزعج هنا هو ارتفاع الأصوات... فعندما تكون متواجدا مع الناس واللذين ينتمون جميعا الى نفس المستوى، يكون ذلك جيدا، ويكون ضجيجهم في المستوى العادي، بحيث لا يتم التأثر بضجيجهم" «les pavillonnaires, paris, 1966,p126» cité par ***N. Haumont***,

إن التعارض الموجود بين الطبقات المتوسطة والطبقات الشعبية يعبر عنه بشكل خالص في توجهات الحياة اليومية، في المحادثات المؤدبة او التي تثير ضجيجا، في استعمال جهاز المذياع او التلفاز، المشي او الاصوات الخافتة، التوبيخ الهادئ او الصاخب للأطفال، والمؤاخذة في أفضل الأوقات.

[37] : إذا كانت الحجج تخدم عملية بناء المجموعات السكنية الكبرى والتي تستند في معظمها على الشروط الموضوعية والمادية للسكن، فإن نسبة الاعتراضات تمثل (46 بالمئة من الحالات) حول الانطباعات الذاتية التي ترجع رغم مظاهر الصعوبات لدى بعض الجيران في (الضجيج، تصريح إطار) عن الصعوبات الموجودة في الغالب (50 بالمئة من الحالات) هي التي تصدر بشكل او باخر من الطبع الخاص بالجيران، (بول كليرك مرجع سابق ص 377)

الدراسات السوسيولوجية " المتفائلة" ببروز مجتمع جديد خال من الطبقية والتقسيمات الاجتماعية.

إن التعايش لا يعبر بتاتا عن الانسجام والتجانس الاجتماعي (l'homogénéité sociale) ، ففي هه الوحدات السكينة التي هي المجموعات السكنية الكبرى تتعايش الفئات الاجتماعية التي عادة ما تكون منفصلة مكانيا، في نفس الحيز/ الفضاء السكني، وتزداد التناقضات اكثر مما هي عليه لدى السكان المحليين (المتجانسين)، فهذه التجمعات تضم فئات سوسيو-إقتصادية، ومرجعيات ثقافية للسكان مختلفة بعضها عن بعض، تعيش نوعا من التجاوز المكاني، ولكنها لا تحقق مؤانسة اجتماعية، ويظهر لك من خلال الاختلاف؛ بل وتناقض تصوراتها، ومواقفها حول السكن المشترك، وكذا نوع التفاعلات بين هذه الفئات، وبذلك فإن عملية تجميع السكان المتمايزين في فضاء سكني مهيأ سلفا بناء على معايير محددة ، لا يؤدي بشكل او بأخر إلى انتاج مجتمع متجانس ومتناغم، خل من التراتبية والطبقية، والانقسامات السوسيو-مهنية والثقافية، والأخلاقية، فرغم التصورات المثالية والطوباوية، حول امكانية انتاج مجتمع مثالي، من خلال سياسات التعمير، فالفوارق الاجتماعية تصبح اكثر بروزا عندما تتجاور هذه الفئات المتمايزة في نفس فضاء السكنى وداخل نفس الوحدة السكنية بشكل خاص، وهو ما ينتج عنه نزاعات تتجسد غالبا في شكل صراعات قيمية، وثقافية، تعبر عن نموذج خاص من التنشئة والتربية التي يتلقاها الأطفال، داخل الأسر المشكلة للمجموعات السكنية الكبرى.

قائمة المراجع:

1.ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط1،
2."بودون ريمون(1986)، و "فرانسوا بوريكو"، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة حداد سليم، ط1.
3.رشيق، عبد الرحمان(216). " السياسات العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب". مجلة عمران. خريف 2016. المجلد 5. العدد 18. صص 7-23.
4.ساعة. عبد الكريم، الوجيز في قواعد كتابة البحوث الجامعية، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية – الرباط. ردمك. 5-64-645-9920-978، من دون ط.
5.Jean-Claude CHAMABOREDON, Madeleine LEMAIRE : Proximité spatiale et distance sociale les grands ensembles et leur peuplement, Volume11 Revue française de sociologie,1970, pp.3-33
6.LARROUSS, dictionnaire du français contemporain, les éditions françaises Inc,1992
7.RACHIK, Abderrahmane. Mobilisation sociale et relations de voisinage au Maroc. In MERIZAK, Mustapha. La ville et le vivre ensemble. Chamsprint – salé. 2020. ISBN 978-9920-39-217--4

8.Yves ALPE, Alain BEITONE, et al, lexique de sociologie, éd. DALLOZ,2005